محاضرات مقياس الاستشراق

الأستاذة نعيمة رحماني

السنة 2 انثروبولوجيا

المحاضرة03

نشأة وتطور الاستشراق (تابع)

حتّى وإن استثنينا القلّة الّتي سعت جاهدة إلى تكذيب ما جاء به الرّسول ﷺ في فترة البعثة، فإنّ هدفها لم يكن البتّة دراسة التّراث الإسلاميّ بقدر ما كان مجرّد رغبة في دحض دين جديد غير مرغوب فيه، باللّجوء إلى الاعتداء واعلان الحرب، دون دراسات استشراقيّة كما شاع.

وفي السّياق نفسه أرجع الباحث ساسي سالم الحاج بداية الظّاهرة الإستشراقيّة إلى الحروب الصليبيّة، مبيّنا أنّ الغرب قد أظهر أطماعا ماديّة وثقافية للبلاد المسلمة، من خلال "حروب الردّة والاسترداد" الّتي دامت ثلاثة قرون؛ من عام 1097م حتى عام 1291م، أين انتصر فيها المماليك[1] على الصّليبيّين في معركة عكا (فلسطين حاليا)، فكانت نهاية تلك الحروب الدمويّة وبداية استغلال التّراث الإسلاميّ.

فأثناء خروج المسيحيّين تمّ الاستلاء على آلاف الكتب والمخطوطات العربيّة، وإرسالهم إلى المكتبات الغربيّة، أين بدأ بعض المهتمّين بالتّراث الإسلاميّ بتزييفه؛ فوصفوا المسلمين بأبشع الأوصاف وجعلوهم يشبهون الحيوانات المتعطّشة للدماء.[2]

---

[1] حكمت الدّولة المملوكيّة مصر والشّام والعراق وأجزاء من الجزيرة العربيّة، من 1250 الى 1517م، عاصمتها القاهرة.

[2] ساسي سالم الحاج، مرجع سابق، ص 44.

وقد ساند هذ الرّأي الباحث خالد بن عبد الله القاسم الّذي ذكر أنّ نشأة الاستشراق حدثت بعد إخفاق الحروب الصّليبيّة في الوصول إلى أهدافها.[3]حيث اقتنع الصليبيّون أنّه لا يمكن إخضاع العالم الإسلاميّ بالقوّة، خاصّة بعد هزيمتهم، فنهجوا طريقا آخر أكثر دهاء مكنّهم من دراسة أحوال المسلمين ومعتقداتهم، والتعرّف على نقاط ضعفهم من أجل هدمها، ومن ثم السيطرة عليهم.

وقد استشهد الباحث بقول القسّ الأمريكي **صامويل زويم**Samuel Zweme (1876م- 1952م) الّذي تحدّث عن أوّل منصّر بين المسلمين مبديا إعجابه به قائلا: "وإلى يومنا هذا كلّ المستشرقين وكتاباتهم مدينون **لريموند لولي** Raimond Lully مبشّر كتالوني (1233م-1316م)، فقد قام بإقناع ملك اراغون Aragon[4] عام 1276م بإنشاء مدرسة لتعليم الرهبان اللّغة العربيّة، ثم أنشأ بعدها معهد الدّراسات الإسلاميّة في مدريد، وبذل جهدا كبيرا في سبيل إثارة اهتمام الكنيسة والملوك بتعلم اللّغات الشّرقية كالعربيّة والعبرية... على امتداد ستة اعوام 1294م-1300م، وقد كلّلت جهوده بالنجاح من خلال إقرار البابا إنشاء كراسي في خمس جامعات غربيّة من أجل دراسة تلك اللّغات، وكانت من هنا بداية الاستشراق الفعلي".[5] ويشاطرهما الرّأي الباحث محمّد الشّرقاوي الّذي ذهب إلى أنّ الظّاهرة الإستشراقيّة قد بدأت بداية حقيقية ومنتظمة بقرار من المجمع الكنسي في فيينا عاصمة النمسا بالموافقة على تدريس اللّغات الشّرقية في خمس جامعات أوروبيّة كبرى هي؛ باريس، أكسفورد، الجامعة البابوية في روما، بولونيا بإيطاليا، وسلمنكا بإسبانيا سنة 1312م.[6]

---

[3] خالد بن عبد الله القاسم، إنحرافات الفلاسفة والباطنيّة والزّنادقة في دائرة المعارف الإسلاميّة، دت، استخرج من الرّابط. *faculty.ksu.edu.* بتاريخ 2018/01/03 على 17سا و58د، ص02.

[4] تقع مملكة أراغون في الشّمال الشرقيّ لإسبانيا ومن المرجحّ أن يكون قد حدث الأمر في عهد خايمي الأوّل (1213م-1276م) أو ابنه بيدرو الثّالث (1276م-1285م) فلم يذكر القسّ اسم الملك.، للمزيد من المعلومات ينظر الموسوعة العربيّة من الرّابط https://www.arab-ency.com

[5] خالد بن عبد الله القاسم، مرجع سابق، ص02.

[6] محمّد عبد الله الشّرقاوي، الإستشراق وتشكيل نظرة الغرب للإسلام، دار البشير للثّقافة والعلوم، مصر، 2016م، ص 84.

يمكننا القول أنّ هذه الآراء الأخيرة هي الأرجح منطقيّا لبداية التّأريخ لنشأة الاستشراق، أثناء وبعد الحروب الصّليبيّة وليس قبلها؛ فقد ساهم المنصّر ريموند ليلي في ترغيب تعلّم اللّغات الشّرقية من قبل الغربيّين، وأنشأ كراسي لتحصيلها في أكبر الجامعات الغربيّة. وهذا الأمر يتماشى وتعريف قاموس اكسفورد لظاهرة الاستشراق والمستشرق؛ أي المعرفة بلغات الشّرق وتراثه، حتّى وإن كانت غاية جلّهم هي الاطّلاع على تراث المسلمين والإسهام في نشر المسيحيّة واستغلالهم.